منهج إبن النديم البغدادي في تصنيف الشعراء المحدثين

أ.د.مجاهد مصطفى بهجت
قسم اللغة العربية ـ كلية التربية
جامعة بغداد

مقدمة

يعد كتاب(الفهرست) لإبن النديم أول كتاب جامع في القرن الرابع الهجري ،حصر الكتب و المؤلفات العربية و رصدها في مجالات العلم و المعرفة و الثقافة و الفن ،و اللغة والأدب و الشعر بما يكشف عن النشاط الفكري ، و الحياة العقلية و العلمية للعصر .

موضوعاته

وقد صنفه إبن النديم و جعله في مقالات ثم فنون إستوعبت ما ألف و كتب إلى عصر المؤلف ، و يذكر في المقدمة ما إشتمل عليه الكتاب من عشر مقالات : الأولى في ثلاثة فنون عن لغات الأمم ، و كتب الشرائع ، و نعت القرآن . و الثانية : في ثلاثة فنون عن النحويين و اللغويين البصريين والكوفيين و غيرهم. و الثالثة: في ثلاثة فنون عن الأخبار و الآداب و الأنساب . و الرابعة : في فنين عن الشعر و الشعراء . و الخامسة : في خمسة فنون عن الكلام و المتكلمين . و السادسة : في ثمانية فنون عن الفقه و الفقهاء و المتحدثين . و السابعة : في ثلاثة فنون عن الفلسفة و العلوم القديمة . و الثامنة : في ثلاثة فنون عن الأسماء و الخرافات و السحر . و التاسعة : في فنين عن المذاهب و الإعتقادات . و العاشرة الأخيرة : عن أخبار الكيميائيين.

و يتميز الكتاب بإسلوبه المتين الذي يقوم على الإيجاز و التركيز ، و يخلو من الحشو و الإطالة ، و نلمس ذلك في خطبته الموجزة حيث يقول :" ربَ برحمتك ، النفوس تشرأب إلى النتائج دون المقدمات ، و ترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل ..." .ثم يقول :" هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب و العجم الموجود منها بلغة العرب و قلمها لإي أصناف العلوم و أخبار مصنفيها و طبقات مؤلفيها و أنسابهم ، و تاريخ مواليدهم ،و مبلغ أعمارهم و أوقات وفاتهم ، و أماكن بلدانهم ، و مناقبهم و مثالبهم منذ إبتداء كل علم إلى عصرنا هذا و هو 377هـ " .

نشراته

و قد إهتم به الدارسون و عنوا به لمادته المتنوعة الغزيرة ، و كان المستشرقون من أوائلهم ، و كانت الطبعة الأولى سنة 1871 م و هي طبعة (فلوجل)و لها مقدمة

بالألمانية و تعليقات و كشافات و فهارس في مجلدين ، و أعيد نشره في بيروت سنة 1966 .
و كانت طبعته الثانية بالرحمانية بمصر سنة 1930م ، و بها تكملة قيمة من نسخة مخطوطة بالتيمورية تضمنت تراجم سقطت من أول المقالة الخامسة .
وحقق الكتاب رضا تجدد ، و طبعه بطهران سنة 1971 ، ثم اعيد طبعه و في الطبعة الثالثة جمع نسختين من الأصل المخطوط من جستربيتي و شهيد علي و فيها زيادات . ثم نشر حديثا سنة 1985 بتحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان و طبع بدار قطري بن الفجاءة ، و الأصل للنشرة رسالة دكتوراه بجامعة إكستر/ المملكة المتحدة و نوقشت سنة 1984 .
و قد سار على نهج الكتاب كل من طاش كبري زادة في(مفتاح السعادة)، و حاجي خليفة في(كشف الظنون) ، والبغدادي في(إيضاح المكنون) .
مزايا النشرة الجديدةو لابد من كلمة عن النشرة الأخيرة لـ (الفهرست) لحداثتها و لكونها في الأصل رسالة دكتوراه إذ تتميز على النشرات السابقة بأمور ذكرتها المحققة في مقدمة الكتاب و أبرزها[1] :
1- تصحيح الأخطاء اللغوية و المطبعية ... ، و عمل فصلات و فقرات جديدة ليست في النص الأصلي .
2- تحقيق و تكملةالأعلام غير المحققة ـ مما ورد في النص الأصلي ـ مع ذكر تاريخ الميلاد و الوفاة و الإشارة إلى مؤلفاتهم ، مع ملحق في آخر كل جزء لتكملة ما يتعلق بالإسماء المحققة .
3- إعادة كتابة الأعلام ، و الكتب و المؤلفات ، و ترتيبها هجائيا ..
وقد نجحت المحققة في تنفيذ الأمرين الأول و الأخير مما إلتزمت به ، و أباحت لنفسها ترتيب مادة الأعلام و الكتب ، خاصة و قد أثبتت مع عنوان الكتاب (صياغة حديثة)، و الأمر و إن كان خروجا عن منهج المحققين في ترتيب المادة ، لكنه مفيد و نافع للدارس و الباحث ، ليصل إلى مادته ..أما الأمر الثاني فلم أجده ـ خلال المقالة الرابعة ـ و بقيت الأعلام غفلا ، بل بقى التحريف و التصحيف في بعضها ، و لم تحقق منها شيئا .
وغريب ألا نجد في المقدمة و الدراسة إشارة إلى الأصول المخطوطة التي إعتمدتهافي التحقيق ، و مادة الكتاب تختلف عن نشرة رضا تجدد ، و النشرة المصرية(الرحمانية) ، لكن نشرة(تجدد)تتميز بالإشارة إلى نسختي المخطوط ..
دواوين الشعر بين إبن النديم و غيره
وقد ضم(الفهرست) مادة غزيرة عن دواوين الشعراء قل أن نجد لها مثيلا في كتب الطبقات و التراجم و الأدب في القرن الرابع الهجري، وقد خصص الفن الثاني من المقالة الرابعة للشعراء المحدثيت ، و ذكر لنا دواوين 477 شاعرا ، و إذا قارنا بين هذا العدد ، وعدد التراجم في طبقات الشعراء لإبن المعتز(ت 296هـ) وهو 132 شاعرا ، و عددهم في الأغاني لأبي فرج الأصيهاني(ت 356هـ) و هو 106 شعراء

من العباسيين و مخضرمي العصر الأموي و العباسي تجلى لنا بوضوح قيمة(الفهرست) لإبن النديم و أهميته في رصد دواوين الشعر العباسية على إختلاف مناهج هذه المصادر الثلاثة .
ولم ينشر ـ اليوم ـ من دواوين الشعر العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري إلا بحدود 138 ديوانا ، بما يمثل أقل من 30./. ممن ذكرهم إبن النديم .

منهجه

و البحث يكشف عن منهج إبن النديم في ذكره لهؤلاء الشعراء المحدثين ، و قد نبه عليه في بداية الفن الأول ، و عاد فذكره في بداية الفن الثاني ، فهو حين يذكر دواوين الشعراء و يحرص على حصرها و إستيعابها ، ثم يصف تلك الدواوين منبها ـ في ذلك ـ على المقل منهم و المكثر ، و مقدار شعره فيقول :" و غرضنا في هذه المقالة أن نبين عن ذكر صناع أشعار القدماء ، و أسماء الرواة عنهم ، و دواوينهم ، و أسماء أشعار القبائل و من جمعها و ألفها .." ثم يقول :" و يحتوي على أشعار المحدثين ، مقدار حجم شعر كل شاعر و المكثر منهم و المقل ..."[2] .
و يدرك فرق ما بين عمله و هدفه في ذكر الشعراء ، و ما سلكه الأدباء و النقاد عند ذكرهم الشعراء و تصنيفهم فيقول : إنا لا نستحسن أن نطبق الشعراء لأنه قد قدمنا من العلماء و الأدباء من فعل ذلك " [3] ، فهو يوضح الفرق بين منهج الطبقات في الشعراء بالإعتبار الفني و الموضوعي ، و بين منهجه في رصد أسماء الشعراء و حصرهم ، و إثبات حجم شعر كل شاعر منهم " فإذا قلنا ان شعر فلان عشر ورقات ، فانا إنما عنينا بالورقة ان تكون سليمانية ، و مقدار ما فيها 20 سطرا ، أعني في صفحة الورقة ، فليعمل على ذلك[4] .
فالهدف من الفهرست إثبات أسماء الشعراء أصحاب الدواوين ، فهو يقوم بمهمة تقديم بطاقة الفهرسة العامة للديوان مسجلا إسم الشاعر و معلومات عامة عنه ، ثم حجم ما بقي أو وصل من شعره بذكر عدد أوراق الديوان ، و أحيانا بوصفه مقلا أو مكثرا .
وهكذا لم يصنف الشعراء إلى طبقات وفق سني وفياتهم ، و لا رتَبهم بحسب أسمائهم و لا بيئاتهم و لا ...إلخ .
و لكننا نلمح خيطا ينظم أسماء الشعراء المذكورين وفق تسلسل منطقي و منهج إحصائي فهو يرتب بعضهم على :
1ـ أساس تاريخي في سني وفاة الشعراء : إذ يذكر بشار بن برد (ت 167هـ) و إبن هرمة(ت 167) ، و أبو العتاهية (ت 211هـ) ، و أبا نواس(ت 198) ، ومسلم بن الوليد(ت208هـ) ، ثم يعود مرة أخرى ذاكرا أسماء الشعراء وفق التسلسل التاريخي فيذكر أبا تمام (ت 231هـ) ، و البحتري(ت 285هـ) ، و إبن الرومي(ت 283هـ) وهؤلاء الشعراء ينتظمون في سلسلة العلمية البارزة في العصر العباسي .
2ـ و يجمع طائفة أخرى من الشعراء المحدثين على إعتبار علاقة الأسرة و القرابة و رابطة الرحم ، و يدخل في هذا الإطار ثماني أسر شاعرة ..

* أسرة آل حفصة ، و يذكر عشرة شعراء من هذه الأسرة و هم : جدهم أبو حفصة من أيام عثمان (رض) ، و يحيى زمن عبدالملك بن مروان، ثم المحدثون من العصر العباسي وهم : مروان بن سليمان ، و أبو السمط ، ومحمد بن مروان ، و متوج بن محمود ، و أبو سليمان بن إدريس ، و محمد بن إدريس ، و آمنة بنت الوليد ، و أبو السمط عبدالله بن السمط .

* أسرة آل رزين : و يذكر منهم ستة شعراء هم : الرزين بن سليمان ، و علي بن رزين ، و دعبل الخزاعي ، و الحسين بن دعبل ، و أبو الشيص ، و عبد بن أبي الشيص .

*أسرة آل أبي العتاهية و يذكر أربعة منهم .

*أسرة آل طاهر بن الحسين و يذكر ستة منهم .

*أسرة آل أبي أمية و يذكر 27 شاعرا منهم .

*أسرة آل أبان اللاحقي و يذكر ستة منهم .

*أسرة أبي عيينة المهلبي و يذكر ثلاثة منهم .

*أسرة آل المعذل و يذكر ستة منهم .

3- و يقدم أكبر عدد من أصحاب الدواوين ضمن ما وجده في كتب التراجم ،و لا يلتفت إلى تكرار بعض الأسماء .. و أول الكتابين :

1- الورقة لمحمد بن داود ، و يستخرج دواين 56 شاعرا[5] . و الآخر :

2- كتاب إبن الحاجب النعمان [6] ، و يستخرج منه دواوين الشعراء الكُتاب وهي 143ديوانا..

4- و يرصد دواين النساء الحرائر و المماليك وهي 16ديوانا ، ثم الشعراء المماليك وهم 82ديوانا ، و ممن ذكرهن : علية و الزرقاء ، و عنان ، و فضل ، ثم يذكر أسماء المقلات من المملوكات ، ثم المماليك من الشعراء .

5- المحدثون من الشعراء بعد الثلثمائة إلى عصر المؤلف : وهم 27 شاعرا و منهم : مدرك الشيباني ، و شوك ، و التجيي ، و القراطيسي ، و السلامي ، و الصنوبري ..

6- الشعراء الشاميون : وهم ثلاثة ، أبو الجود الرسعني ، و أبو المسكين البردعي ، و الخليع الرقي ، و قبلهم ذكر الخالديين ، و السري ، و أبو الحبيش بن السنج ، و التميمي ..

لكن عددا من الشعراء لم تنتظم دواوينهم ضمن هذه الطوائف ، إذ ترد أسماؤهم بصورة عرضية بين تلك الطوائف ..

ضمن هذا القبيل دواوين الشعراء التي ذكرت بعد آل أبان اللاحقي وهي 36 ديوانا ، و دواوين الشعراء التي ألحقت بعد آل عيينة المهلبي و هي سبعة دواوين ، و ما ألحق بعد آل المعذل وهي 21 ديوانا ، و قد ورد ذكر عشرة دواوين بين أبي تمام و البحتري .

و أخيرا فقد ختم الفن الثاني بخمسة أصناف شعرية وهي :

*القصائد التي قيلت في الغريب وهي ستة .

*القصائد المهموزات(ثنتان) .
*ما صنف في سجع الحمام(أربعة) .
*الكتب المصنفة في الآداب و هي 38 كتابا .
*الرسائل .. وهي 23 رسالة .
و يظهر ان النوعين الأخيريين لا يدخلان في باب دواوين الشعراء المصنفة في العصر العباسي و هما لايدخلان تحت هذا الفن من هذه المقالة ، و الأليق أن يرد في الآداب مما يناسب المقالة الثالثة .
وهكذا نخلص إلى ان (الفهرست) تميز بترتيب مادته و تنظيمها على هيئة غير فنية أو نقدية ، إنما ذات قيمة إحصائية تتضمن ثبتا واسعا و كبيرا ، و رصيدا ضخما من دواوين شعراء العصر العباسي .. أفرد ذكر الأعلام على أساس تاريخي ، ثم أورد دواوين الشعراء المعرقين (الأسرة الواحدة) ، ثم ما وقف عليه من الدواوين في كتابين بارزين من كتب التراجم ، ثم دواوين النساء الحرائر و الجواري ، و دواوين المماليك من الشعراء ، و دواوين المحدثين من الشعراء في القرن الرابع ، و فئة من الشعراء الشاميين .
و لأهمية هذا الإحصاء لدواوين الشعراء إذ أحاط بهم إبن النديم علما ، و أتى على ذكرهم ، أوصي بضرورة تحقيق كتاب(الفهرست) أجزاءا و تفاريق من قبل المختصين و المعنيين بالتراث ' لأن نشراته الثلاث لم تسلم من الأوهام و الأخطاء ، فضلا عن التصحيف و التحريف الكثيرين في أسماء الشعراء العباسيين .

الهوامش

(١) المقدمة ، ص 7 .
(٢) راجع المكتبة الشعرية في العصر العباسي ، ص 132-656 .
(٣) الفهرست ، ص 299 .
(٤) المصدر نفسه ، ص 303 .
(٥) ضم كتاب الورقة ترجمة 63 شاعرا لكن عددا كبيرا منهم لم يرد في الورقة .
(٦) عبد العزيز بن إبراهيم ب، صاحب النعمان (ت 315هـ). تاريخ بغداد .